﴿قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ٩١﴾ [طه: 91]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بعدَ أن بيَّن النَّظمُ الجليل أنَّ هارونَ عليه السلام أمحضَهمُ النُّصحَ وأصدقَهمُ الوعظَ؛ بيَّن أنَّ "هذه النَّصيحةَ الحكيمةَ من هارونَ لهم لم تجدْ أُذُنًا صاغيةً، بل قابلوا نصيحتَه لهم بالاستخفاف، والتَّصميمِ على ما هم فيه من ضلالٍ؛ إذ قالوا في الرَّدِّ عليه: ﴿لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ﴾، أي: سنستمرُّ على عبادة العجلِ، وسنواظبُ على هذه العبادةِ مواظبةً تامَّةً"[1].

بعدَ استعطافِهم بالنُّصحِ والوعظِ أعلنَ القومُ إصرارَهم على الضَّلال

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

2) ﴿نَّبۡرَحَ﴾: (برح) أصْلٌ وهو الزَّوالُ والبُروزُ والانْكِشافُ[2]، وأرض بَراح: واسِعَةٌ ظاهِرَةٌ لا نَباتَ فيها ولا عُمرانَ، والبَراح، بالفَتْحِ: المُتَّسِعُ مِنَ الأرض لا زَرْعَ فيه ولا شَجَرَ، وبَرِحَ بَرَحًا وبُروحًا: زالَ، والبَراحُ: مَصْدَرُ قَوْلِكَ: بَرِحَ مكانَهُ، أي: زالَ عَنْهُ، وصارَ في البَراحِ، وما بَرِحَ يَفْعَلُ كَذا، أي: ما زالَ، ولا أبْرَحُ أفعل ذاكَ، أي: لا أزال أفعلُه، وبَرِحَ الأرضَ: فارَقَها، وقولُه جلَّ شأنه: ﴿لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ﴾، أي: لَنْ نَزالَ[3]، وخصَّ بالإثبات، كقولهم: لا أزال؛ لأنَّ برح وزال اقتضيا معنى النّفي، و(لا) للنَّفي، والنَّفيان يحصلُ من اجتماعِهما إثباتٌ، وعلى ذلك قولُه ﷻ: ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ [الكهف: 60][4]، والمرادُ به في الآية الكريمةِ: لن نزالَ مُقيمين على عبادة العجلِ[5].

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 9/ 141.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (برح).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (برح).
(4) الرّاغب، المفردات: (برح).
(5) الواحدي، البسيط: 14/ 502.

3) ﴿عَٰكِفِينَ﴾: (عكف) أَصْلٌ يَدُلُّ على مُقابَلَةٍ وحَبْسٍ، يُقالُ: عَكَفَ يَعْكُفُ ويَعْكِفُ عُكوفًا، وذَلِكَ إقْبالُكَ على الشَّيْءِ، لا تَنْصَرِفُ عَنْهُ[1]، وعَكَف على الشَّيْءِ: أقبل عليه مُواظِبًا لا يَصْرِفُ عَنْهُ وجْهَهُ، وقيلَ: أقامَ[2]، والعُكوفُ: الإقبال على الشَّيء وملازمتُه على سبيل التَّعظيم له،[3]، والعكوف: "الملازمةُ بقصد القُربة والتّعبّد، وكان عبدةُ الأصنام يَلزمونها، ويطوفون بها"[4]، ومعنى ﴿عَٰكِفِينَ﴾: مُقبلين إليه بنفوسنا، غيرَ منصرفين عنه بقلوبنا.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الإصرارُ على المعصيةِ والضَّلالِ والعزوفُ عن نداءِ الإيمان والوعظِ

يخبرُ النَّظمُ الكريم أنَّ القومَ الذين عبدوا العجلَ من بني إسرائيل قد قالوا في ردِّهم على نُصح هارونَ ووعظِه لهم بأنَّنا سنستمرُّ، وندومُ على عبادة هذا العجلِ، ونواظبُ عليها مواظبةً تامَّةً حتّى يرجعَ إلينا موسى[5]، فأعلنوا إصرارَهم وعزوفَهم عن دعوة هارونَ عليه السلام.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نُكتةُ فصلِ الجملةِ في صدرِ الآية عمّا تقدَّمَها:

الإجابةُ بجفاءٍ بعدَ الوعظِ والنُّصحِ الأمينِ

فصلَ النَّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ﴾؛ لأنَّها مستأنفةٌ استئنافًا بيانيًّا؛ فكأنَّ سائلًا سأل لمّا سمعَ ما قال هارونُ عليه السلام لهم قائلًا: فماذا كان جوابُهم وردُّهم بعدما بيَّن لهم الأمرَ، فلم يبقَ دونَه بيان؟ فقيل: قالوا ذلك بفظاظةٍ وجمودٍ[6]، ولم يحتج العطفَ؛ لأنَّها وقعت في سياق محاورةٍ،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عكف).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (عكف).
(3) الرّاغب، المفردات: (عكف).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 290.
(5) طنطاوي، التفسير الوسيط: 9/ 141.
(6) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 332.

والرّابطُ بين الآيتين تصديرُ الآية بفعل القول[1]، فالاتِّصالُ بين هذه الآية وما قبلها اتِّصالٌ خفيٌّ كما هو معلومٌ.

دلالةُ النَّفي بـ ﴿لَن﴾:

آثر النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بحرف النَّفي ﴿لَن﴾ الدّالِّ على نفي المستقبلِ نفيًا مؤكَّدًا في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ﴾؛ للدَّلالة على استمرارهم على عبادةِ العجل، وأنَّهم سيُواظبون عليه مواظبةً تامَّةً[2]، فكان جوابُهم مُعبِّرًا عن تصميمِهم على المداومةِ على عبادة العجلِ وإصرارِهم عليه، فنفَوا الانفكاكَ عنه مستقبلًا ردًّا ورفضًا لدعوة هارونَ.

من عظيم الجحودِ إغلاقُ بابِ الملاطفة مع من يُظهرُ الحرصَ والرِّفقَ

دلالةُ التَّعبيرِ بـ ﴿نَّبۡرَحَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

عبَّر النَّظمُ الجليلُ بالفعل (برح) الدّالِّ على الزّوال في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ﴾ فلمّا سلَّط عليه النَّفيَ؛ صار بمعنى انتفاءِ الزَّوال، تعبيرًا عن ملازمتهم لعبادته، أي: لن نزالَ مُقيمين على عبادة العجلِ[3]، وقد آثر النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بالفعل المضارع للدَّلالة على دوام انتفاءِ مفارقته، فنفيُ المضارع يدلُّ على تجدُّد النَّفي لا نفي التَّجدُّد، فصيغةُ المضارعِ تحقيقٌ وتمكينٌ لنفي الزّوال، وقد جاء التَّعبيرُ بصيغة الجمع تأكيدًا على كونهم مُتَّفقين مُجمعين على هذا القول والرَّأي، وأنَّهم قد صاروا حزبًا للباطل.

إصرارُ جماعةِ الضَّلالِ مُتجدِّدٌ راسخٌ في قلوبِهم

نُكتةُ تعليقِ الخبرِ ﴿عَٰكِفِينَ﴾ بحرف الاستعلاء (على):

علَّقَ النَّظمُ الجليلُ العكوفَ بحرف الجر (على)[4] الدّالِّ على الاستعلاء في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ

شغفَ العجلُ قلوبَهم حُبًّا ورسخَ في معتقدِهم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 283.
(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 9/ 141.
(3) الواحدي، البسيط: 14/ 502.
(4) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 8/ 410.

﴿إِلَيۡنَا مُوسَىٰ﴾؛ للدَّلالة على شدَّة تمسُّكهم به، والمبالغةِ في تمكُّن محبَّته من قلوبهم وثباتِهم على عبادتِه، فهم نفَوا الزّوالَ عنِ العكوف المتمكِّن على العجلِ، وذلك إبلاغٌ في تخلية قلوبِهم ونفوسِهم مِمَّا أراد هارونُ أن يملأها ويُحلِّيَها.

دلالةُ تقديمِ شبه الجملة على الخبرِ:

تخصيصُ العبادةِ بالوثن إصرارٌ وتمسُّكٌ بالضَّلال

قدَّم النَّظمُ الجليلُ شبهَ الجملة منَ الجارِّ والمجرور على خبر الفعلِ النّاقصِ في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ﴾ وأصلُ الكلام أن يقال: (لن نبرح عاكفين عليه)؛ وذلك للدَّلالة على تخصيصِهم إيّاه بالعكوف، أي: لن نبرح نخصُّه بالعكوف، ولا نعكفُ على غيره[1]، تعبيرًا عن شدَّة تمسُّكهم به وحبِّهم له، كما حكى عنهم في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ﴾ [البقرة: 93]، وفي هذا إهمالٌ شديدٌ للتّعبير بالرّبّ والرّحمن على لسان هارونَ لهم، ففي العجل ما يجعلُهم حريصين عليه ومُقبلين إليه بهذه الصِّفة الشّديدةِ.

دلالةُ التَّعبيرِ بـ﴿عَٰكِفِينَ﴾ موقعًا ومادَّةً وصيغةً:

ثباتُ الضّالّين على ضلالهم مجتمعين على زيغِهم

عبَّر النَّظمُ الجليلُ بلفظ العكوفِ خبرًا عنِ الفعل النّاقص في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ﴾؛ للدَّلالة على الإقامة على عبادة العجل، وقد جاء التَّعبيرُ باسم الفاعل للدَّلالة على ثبوت المعنى، أي: إنَّهم ثابتون على العكوفِ عليه عكوفًا لا ينتقض بالزَّمان، وكونُه مجموعًا يدلُّ على صدور قولهم ذلك عن إجماع واتِّفاقٍ، أي: "مقيمين مُستديرين مجتمعين، وإن حاربنا في ذلك"[2]، وفي مادّة: ﴿عَٰكِفِينَ﴾ من الفصلِ والحسم ما به يُواجهون نحوَ: ﴿فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي﴾؛ لأنَّ هذيْنِ الأمريْنِ حسمٌ وقطعٌ لضرورة تركِهم عبادةَ العجل.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 290.
(2) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 332.

دلالةُ التَّعبيرِ بحرف الجرِّ ﴿حَتَّىٰ﴾:

ذرُّ الـرَّمـادِ في العيونِ بخداعِ المؤمنين بالكاذبِ منَ الوُعود

قيَّد النَّظمُ الجليلُ العكوفَ الذي انتفى عنه الزَّوالُ بحرف الجرِّ ﴿حَتَّىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ﴾ وهو حرفٌ دالٌّ على الغاية[1]، أي: إلى أن يرجع إلينا موسى، فجعلوا رجوعَ موسى ﷺ إليهم "غايةً لعُكوفهم على عبادة العجلِ لكنْ لا على طريق الوعدِ بتركِها عند رجوعِه ﷺ، بل بطريق التَّعليل والتَّسويفِ، وقد دسّوا تحت ذلك أنَّه ﷺ لا يرجِع بشيءٍ مبينٍ تعويلًا على مقالة السّامريِّ"[2].

نُكتةُ تقديمِ شبه الجملة ﴿إِلَيۡنَا﴾ على الفاعل:

الاستكبارُ على أشُـدِّه بحصرِ عـودةِ موسى بهم

قدَّم النَّظمُ الجليلُ شبهَ الجملة من الجارِّ والمجرور على الفاعل في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ﴾ وكان أصلُ الكلام أن يقال: (حتَّى يرجع موسى إلينا)؛ لأنَّهم لم يريدوا مطلقَ الرُّجوع، بلِ الرُّجوعَ إليهم خاصَّةً إظهارًا لتعنُّتهم، واستكبارًا منهم، فكأنَّ موسى إنَّما يرجع لأجلِهم، وأنَّهم المثابةُ التي يعودُ إليها موسى.

(1) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 8/ 410.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 37.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»